حماسة أبي تمام

جمعها الشاعر العباسي المشهور أبو تمام الطائي (١٩٠ ـ ٢٣١ هـ) ٠
وهو شاعر ذو ثقافة واسعة ، عربية ومترجمة ، وصاحب مذهب جديد في الشعر ، يقوم على اختراع المعاني ، والباسها صوراً يبدو فيها كدّ الذهن واعمال الفكر ٠

وقد ألف أبو تمام عدة مجموعات شعرية ، وصل الينا منها اثنتان هما : الحماسة ، والوحشيات (أو الحماسة الصغرى) ٠ والأولى هي التي تهمنا هنا ٠

وكتاب « الحماسة » يضم مختارات رائعة من الشعر العربي القديم ، بدءاً من العصر الجاهلي ، حتى عصر أبي تمام نفسه ٠

فمن الجاهليين : عنترة بن شداد ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد ، وتابط شراً ، والنابغة الذبياني ٠٠٠

ومن المخضرمين : عمرو بن معدي كرب ، والنابغة الجعدي ٠

ومن شعراء العصر الأموي : جرير ، والفرزدق ، والمقنع الكندي ، وعمر بن أبي ربيعة ، وليلى الأخيلية ٠

ومن شعراء العصر العباسي ، وفيهم من عاصر أبا تمام نفسه : مطيع بن اياس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس ، وأبو العتاهية ، ٠٠

وقد خص أبو تمام شعراء قبيلته « طيىء » بنصيب واف من اختياره ، كما خص المرأة بنماذج من رفيع الشعر ولا سيما في باب الرثاء ، مثل : قتيلة بنت النضر ، وعاتكة بنت زيد ٠ وبذلك بلغ مجموع القصائد والمقطعات ٨٨١ يعرف كل منها باسم « حماسية » وصاحبها « حماسي » ، وهي تطول حتى تصل القصيدة الى بضعة وأربعين بيتاً أو تقصر حتى تغدو القطعة بيتاً أو بيتين ٠ كما بلغ عدد الشعراء جميعاً نحو ٥٠٠ شاعر ، وقد يختار أبو تمام للشاعر الواحد عدة قصائد أو مقطوعات في مواضيع وأبواب مختلفة ٠

قسم أبو تمام حماسته الى عشرة أبواب مستمدة من موضوعات الشعر وأغراضه العامة ، وهذه الأبواب هي :

(الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء ، والأوصاف والمديح ، والصفات ، والسير والنعاس ، والملح ، ومذمة النساء) ٠

Scanned by CamScanner

وسمى أبو تمام كتابه هذا باسم الباب الأول منه (الحماسة) وهو أعظم الأبواب ، ويقارب ثلث الكتاب . ولم يلجأ الى ترتيب معين داخل كل باب ، كان يكون بحسب الأفكار الجزئية مثلا ، أو أن يراعي التسلسل الزمني للشعراء أو يرتب القصائد على القوافي .. كل ذلك لم يفعل أبو تمام منه شيئا وانما اكتفى بذلك التقسيم الى عشرة أبواب فحسب . ومع ذلك فقد سبق أبو تمام غيره الى هذا التقسيم الذي استمده من طبيعة موضوعات الشعر نفسه وتفرعه الى أغراض متعددة ، محكما ذوقه في اختياره للشعر ، واهماله لما أهمله منه ، وقلما يثبت القصيدة كاملة بل يختار أجود أبياتها ، معظمها أو أقلها . هذا الى انه بدأ بالشعر المختار مباشرة ، ولم يحاول أن يمهد لعمله بمقدمة تشرح منهجه وطريقته في الاختيار .

وحظيت حماسة أبي تمام بشهرة واسعة منذ عصر صاحبها ، واعجب الأدباء والعلماء بمنهجها وقدروا قيمتها حق قدرها ، حتى أصبحت نموذجا يحتذى ، فألف بعضهم كتبا على مثالها وسموها باسمها ، كالبحتري ، وابن الشجري ، والبصري ، كما تصدى آخرون لشرحها واكتناه أسرارها ، حتى تتحقق الافادة منها على خير الوجوه . وقد بلغ عدد شراحها حوالي عشرين : كالمرزوقي ، والفارسي ، والتبريزي ، والصولي ، وابن جني ، والآمدي ... ومنهم من عُني باعراب أبيات الحماسة ، كما اكتفى آخرون بايراد الأخبار المتعلقة بالشعراء وقصائدهم ، دون شرح المعاني .

طبعت حماسة أبي تمام مرارا في الشرق والغرب ، وبعض طبعاتها مصحوب بشرح مختصر ، وبعضها الآخر مع شرح المرزوقي (ـ ٤٢١ هـ) ، أو شرح زيد بن علي الفارسي (ـ ٤٦٧) أو شرح الخطيب التبريزي (ـ ٥٠٢)(١) **ومن أشهر قصائدها :**

١ ـ قصيدة حطان بن المعلى في بناته الصغيرات (في باب الحماسة) :

أنزلني الدهرُ على حكمه ... من شامخ عالٍ الى خفض(٢)
وغالني الدهرُ بوفر الغنى ... فليس لي مال سوى عِرضي(٣)

---

(١) هذه الشروح الثلاثة أوفى شروح الحماسة ، المطبوعة ، وأوسعها ، على تفاوت فيما بينها . وقد طبع شرح المرزوقي بالقاهرة سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م في أربعة اقسام بتحقيق احمد امين وعبد السلام هارون . أما شرح الفارسي فقد طبع ببيروت سنة (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م) في جزأين حققهما د. محمد عثمان علي . وقدم لهما بجزء جعله « دراسة موازنة في مناهج شروح الحماسة وتطبيقها » . واما شرح التبريزي فقد طبع في أوروبة ، ثم في بولاق بمصر سنة ١٢٩٦ هـ في أربعة اجزاء . واخيرا نشره محمد محيي الدين عبد الحميد في أربعة اجزاء أيضا طبعت في القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م .

(٢) الى خفض : الى مكان منخفض .

(٣) غالني : اخذني من حيث لا ادري . بوفر الغنى : بسبب الغنى الكثير .

Scanned by CamScanner

أبكاني الدهر ويا ربما ... اضحكني الدهر بما يرضي
لولا بنيات كزغب القطا ... ردن من بعض الى بعض(١)
لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

٢ ـ قصيدة بشامة بن حزن النهشلي (في باب الحماسة) ومنها قوله :

انا معيوك يا سلمى فحيينا ... وان سقيت كرام الناس فاسقينا
وان دعوت الى جلى ومكرمة ... يوما سراة كرام الناس فادعينا
انا بني نهشل لا ندعى لأب ... عنه ، ولا هو بالأبناء يشرينا
ان تبتدر غاية يوما لمكرمة ... تلق السوابق منا ، والمصلينا
وليس يهلك منا سيد أبدا ... الا افتلينا غلاما سيدا فينا
انا لنرخص يوم الروع انفسنا ... ولو نسام بها في الأمن اغلينا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا ... من فارس ؟ خالهم اياه يعنونا(٢)

* * * *

(١) ردن من بعض الى بعض : اجتمعن لي في مدة يسيرة ، الواحدة بعد الأخرى .

(٢) الجلى : الأمر العظيم . والسراة ، بفتح السين : مفردها سري وهو الشريف . ويشرينا : يبيعنا . والسابق والمصلي : هما الأول والثاني من خيل الحلبة التي تخرج للسباق . وهي عشرة . والافتلاء : الافتطام . والأخذ من الأمر . واغلين جعلت غالية ، أو وجدت غالية . وضمير نود النسوة للانس . والألف بعد للاطلاق .

Scanned by CamScanner

حماسة البحتري

البحتري شاعر عباسي من منبج ، عاش في القرن الثالث للهجرة (٢٠٥ ـ ٢٨٤ هـ) . وقد جمع في شعره بين جزالة البدو ورقة الحضر . اتصل بالخليفة المتوكل ولازمه . وكانت بين البحتري وأبي تمام صلة وثيقة ، وصداقة وشيجة . بل ان البحتري يعد تلميذاً لأبي تمام ، لأنه تأثر استاذه الطائي في شعره وأغراضه ، ونهل من أدبه وفنه ، ولا سيما في مطلع حياته ، وبدء شهرته ، حتى استقامت له طريقته الشعرية ، ومذهبه الأدبي في ديباجة الشعر وصوغه .

ولم يشأ البحتري أن يتخلف عن أستاذه في ميدان التصنيف أيضا ، فكان أول من **فكّر أبا تمام في جمع تلك الاختيارات الشعرية الرائعة التي سماها** « **الحماسة** » أيضا ، مستمداً اياها من دواوين الشعراء وصدور الرواة ، وما ثبت في حافظته الواسعة من الأشعار أيام الطلب .

وقلد البحتري أستاذه أيضا في الفترة الزمنية التي خضعت لذلك الاختيار ، أعني الشعر القديم الذي يمتد من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي ، فاختار للجاهليين من أمثال : امرىء القيس ، وأوس بن حجر ، وحاتم الطائي ، وعروة بن الورد .. وللمخضرمين مثل الحطيئة ، والخنساء ، ولبيد بن ربيعة .. وللأمويين : كجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وليلى الأخيلية ، والمتنخ الكندي ، والراعي النميري ...

أما **الشعراء المحدثون** فقد كان لهم بعض النصيب من تلك الاختيارات ، ولا سيما متقدموهم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، مثل بشار بن برد ، ومطيع بن اياس ، وصالح عبد القدوس .

وبذلك وصل عدد الشعراء في حماسة البحتري الى ٦٠٠ شاعر تقريبا .

ومن الجدير بالذكر أن البحتري لم يكد يختار شيئا للمقربين من **أيامه** ، أو المعاصرين له ، كأبي العتاهية ، والعباس بن الأحنف ، وأبي نواس ، ومسلم ابن الوليد ، وكلهم مجيدون كبار ، وتستطيع أن تعد معظم أشعارهم اختيارات ، حتى أستاذه أبو تمام ، الذي سبقه الى الموت بنصف قرن ، لم يحظ ببيت واحد من شعره يكون له حيز في حماسة تلميذه ، وفي هذا عقوق ظاهر ، وتضييع لحق أستاذ اعترف له البحتري بالفضل حين قال عنه « والله ما أكلت الخبز الا به » .

وفي حماسة البحتري ، بعد هذا ، مختارات لشعراء مجهولين ، **أشار اليهم** بمثل قوله : « قال آخر » ، « وقال غيره » ، « ولبعضهم » . وقد يكتفي بذكر

Scanned by CamScanner

قبيلة الشاعر دون اسمه فيقول مثلا : « لرجل من بني الحارث بن كعب » ، و « لرجل من بني تميم » و « لرجل من طيىء » ... الخ .

واذا كان البحتري قد جرى على آثار أستاذه الطائي في فكرة تصنيف حماسته ، وفي تسميتها ، واغفال مقدمتها ، **فانه انفرد عنه في الطريقة والتبويب :**

١ ـ فهو لم يعتمد على مبدأ الأغراض الشعرية العامة التي جعلها أبو تمام عشرة فحسب ، بل وزع البحتري مختاراته على موضوعات جزئية ، وأفكار فرعية لكل غرض . وبذلك أصبحت حماسته في (١٧٤) باباً .

٢ ـ وقد نتج عن صنيع البحتري ذاك ، أن القصيدة الواحدة أحيانا قد تجزأت وتناثرت الى مقطوعات موزعة على عدة ابواب ، تقل أو تكثر . تبعا للمعاني الجزئية التي تحملها تلك القصيدة ، وهذا ما جعل القصر يغلب على اختيارات البحتري في حماسته ، حتى بلغ عددها ١٤٥٤ مقطوعة وقصيدة . وعمله هذا ـ على ما فيه من مآخذ ـ يوفر على القارىء كثيراً من الجهد ، وييسر له الحصول على شواهد شعرية لمختلف المعاني والأغراض .

٣ ـ ويلفت النظر في هذا الكتاب أن البحتري لم يُفرد فيه للحماسة باباً صريحاً ، على الرغم من أنه استعار هذه التسمية لكتابه . ولكن يلاحظ أنه عوض عن ذلك بأن سرد سبعة وعشرين باباً ، من أول حماسته ، تشتمل عناوينها على معان جزئية متفرعة من موضوع الحماسة ، مثل : حمل النفس على المكروه ، والفتك ، وركوب الموت خشية العار ، والتحريض على القتل بالثأر ، والامتناع من الصلح ، والتشمير عند الحرب ، وذم الفرار والتعيير به ،واستطابة الموت عند الحرب .. الخ .

وأول مقطوعة استهل بها البحتري حماسته في الباب الأول (فيما قيل في حمل النفس على المكروه عند الحرب) **قول عمرو بن الاطنابة الخزرجي** ، وهو شاعر جاهلي :

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي العمدَ بالثمن الربيح(١)
واعطائي على المعسور مالي ... وضربي هامةَ البطل المشيح(٢)
وقَولي كلما جشأت وجاشت : ... مكانكِ تحمدي أو تَستريحي(٣)
وادفعُ عن مكارمَ صالحاتٍ ... وأحمي بَعدُ عن عِرضٍ صحيح

---

(١) الربيح : الرابح الثمن .
(٢) المعسور : الفقر . المشيح : الجد في الامر .
(٣) جشأت نفسه : ارتفعت واضطربت . ومثله جاشت .

Scanned by CamScanner

وهذه الأبيات كانت السبب في ثبات معاوية يوم صفين وعدم فراره ، فقد روي عنه أنه قال : لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار ، فما منعني الا قول ابن الاطنابة :

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... (الى آخر الأبيات) .

٤ ـ **وخص البحتري المرأة بباب طويل ختم به حماسته** ، وأورد فيه مختارات من أشعار النساء ، مثل : ليلى الأخيلية ، والخنساء ، وقتيلة بنت النضر ، وليلى بنت طريف ، ولكنه اقتصر فيه على موضوع الرثاء فحسب ، وجعل عنوانه : « باب في مختار أشعار لجماعة من النساء في المراثي » .

* *

طبعت حماسة البحتري في بيروت ومصر ، في مجلد واحد ، ولم تحظ بعناية أحد من الشراح القدامى أو المعاصرين ، خلافا لحماسة أبي تمام .

ومن أشهر اختيارات البحتري قصيدة المقنع الكندي التي يقول فيها :

يعاتبني في الدِّين قومي وانما ... ديوني في أشياء تكسبهم حمدا
وان الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا(١)
وان زجروا طيراً بنحس تمرنت بي ... زجرت لهم طيراً ، تمر بهم ، سعدا(٢)
وان هبطوا غوراً لأمر يسوءني ... طلعت لهم فيما يسرهم نجدا(٣)
فان قدحوا لي نارَ زند تشيننني ... قدحت لهم في نارِ مكرمة زَندا(٤)
وان بادهوني بالعداوة لم أكن ... أبادِهُهم الا بما يبعث الرشدا
وان قطعوا مني الأواصرَ صِلَّة ... وصلت لهم مني المحبة والودا
ولا أحملُ الحقد القديم عليهمُ ... وليس كريمُ القومِ من يحمل الحقدا
فذلك دابي في الحياة ودأبهم ... سَجيس الليالي،او يزيرونني اللحدا(٥)

---

(١) أكلوا لحمي : اغتابوني . وفرت لحومهم : تركت أعراضهم موفورة سالمة .
(٢) أي اذا تمنوا لي النحس والشؤم ، تمنيت لهم حسن الطالع والسعد الحميد .
(٣) النور : الأرض المنخفضة ، وعكسها النجد .
(٤) الزند ، بفتح الزاي : العود الذي تقدح به النار ، ج زناد وأزند .
(٥) سجيس الليالي : على مدى الأيام . يزيرونني اللحد : يجعلونني أزور القبر يعني موته ومفارقته الحياة . والفعل منصوب بان المضمرة بعد « او » واثبات النون ضرورة شعرية .

Scanned by CamScanner

وهذه القصيدة اختارها ابو تمام في حماسته قبل البحتري ، ولكن بين روايتيهما اختلافاً في بعض الأبيات ، زيادة ونقصاناً ، كما تختلف رواية بعض الألفاظ هنا وهناك .

ذلك كله يدل على أن منزلة حماسة البحتري تاتي في المرتبة الثانية بالقياس الى حماسة أستاذه الطائي ، وظلت كذلك حتى اليوم . فاذا قيل : « كتاب الحماسة » أو « الحماسة » فالمعني به حماسة ابي تمام . واذا أطلق الكلام فقيل : « هذا الشاعر حماسي » أو « هذه القصيدة حماسية » فالمراد بذلك حماسة ابي تمام أيضاً .

* * * *

Scanned by CamScanner

الحماسة الشجرية
لابن الشجري

وهذه حماسة ثالثة ألفها الشريف هبة الله بن علي ، المعروف بابن الشجري البغدادي (ـ ٥٤٢ هـ) . وهو من أئمة اللغة والنحو والأدب . كان ذكي الفؤاد ، فصيح اللسان ، حاضر البديهة ، حلو الحديث ، ذا فضل ووقار .

له عدد من المؤلفات تحمل نسبته ، أشهرها : الأمالي الشجرية ، ومختارات ابن الشجري ، والحماسة الشجرية .

أما (حماسته) فقد تأثر فيها بمنهج سابقيه : أبي تمام والبحتري معا ، ومزج بين طريقتيهما في وقت واحد ، حيث قسم الكتاب الى أبواب رئيسية عامة، بحسب الأغراض الشعرية ، على مثال أبي تمام ، عددها تسعة ، وهذه الأبواب هي :

١ ـ باب الشدة والشجاعة .
٢ ـ باب اللوم والعتاب .
٣ ـ باب المراثي .
٤ ـ باب المديح .
٥ ـ باب الهجاء .
٦ ـ باب الأدب .
٧ ـ باب النسيب .
٨ ـ باب الصفات والتشبيهات .
٩ ـ باب الملح(١) .

ولكن ابن الشجري فرع بابي (النسيب) و (الصفات والتشبيهات) فقط الى عدد من الأبواب الجزئية ، على طريقة البحتري :

أما (باب النسيب) فقد جزأه الى سبعة أبواب هي : (الحنين الى الأوطان ، الارتياح عند هبوب الرياح ، الاشتياق عند لمعان البروق ، النزاع عند نوح الحمائم ، الشوق عند حنين الابل ، الطيف والخيال ، مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين) .

---

(١) ليس في هذا الباب ما هو جديد ، لأن أكثر مختاراته يمكن ردها الى أحد الأبواب السابقة ، كالهجاء ، والوصف وما الى ذلك . ومعظمها ليس من الملاحة في شيء .

3 BACK MELAD

Scanned by CamScanner

وأما (باب الصفات والتشبيهات) فقد فرعه ابن الشجري الى واحد وعشرين فصلا جزئيا ، مثل : (صفات النساء ، وصف النار ، الصفات والتشبيهات في الليل والنجوم والمجرة ، والهلال ، والصبح ، الصفات في الشيب والشباب والخضاب ، صفات الكتب والخط والته ٠٠) ٠

وبذلك أصبح مجموع الأبواب العامة والجزئية ٢٧ بابا (٩ + ٧ + ٢١) تضم ٩٤٣ حماسية لشعراء بلغ عددهم ٢٦٥ عدا المجهولين الذي لم يصرح بأسمائهم ٠

واذا كان ابن الشجري قد احتذى أبا تمام والبحتري في طريقة الاختيار ، والتبويب وتسمية الكتاب ، واثبات أشعار الجاهليين والاسلاميين ، فانه يمتاز ايضا بامور أخرى لها أهميتها :

١ ــ فهو يولي أشعار المولدين أو المحدثين اهتماما أكبر في اختياراته : كأبي نواس ، وأبي تمام ، وأبي العتاهية ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن المعتز ، والشريف الرضي ، بل انه واصل متابعة مسيرة الشعر المختار حتى عصره ، أي القرن السادس للهجرة ، فاختار أشعارا للجرجاني ، ولزيد بن الحسن الكندي وغيرهما ٠

ويبلغ من اهتمامه بالمحدثين أن أفرد لهم فصلا خاصا أيضا في باب النسيب بعنوان « مقطعات من غزل شعر جماعة من المحدثين » زيادة على ما تفرق من أشعارهم في بقية الأبواب ، وفي موضوعات أخرى غير الغزل والنسيب ٠

٢ ــ ولم يضن ابن الشجري على الشاعرات العربيات بنصيب من الشعر المختار ولكن أكثر اختياراته لهن في الرثاء ، مثل : الخنساء ، وليلى الأخيلية ، وليلى بنت طريف ٠٠٠

٣ ــ واذا كان ابن الشجري قد أغفل التقديم لكتابه بما يوضح منهجه وطريقته في الاختيار ، فان شخصيته قد بدت ظاهرة في جوانب أخرى من الكتاب ، من ذلك انه ذكر مناسبات بعض القصائد ، وأورد أخبارا وروايات تتعلق بتلك القصائد ، كما شرح بنفسه جملة من الأبيات أو مفرداتها الصعبة على الفهم ٠٠٠ وكل ذلك لم يفعله الطائيان قبله ٠

٤ ــ واخيرا ، فان ابن الشجري لم يتمسك بتسمية « الحماسة » للباب الأول من كتابه ، وانما استعاض عنها بما يفيد معناها ، فسماه « باب الشدة والشجاعة » ٠ وقد اعتدنا أن يكون هذا الباب في حماستي أبي تمام والبحتري أطول الأبواب وثلث الكتاب ، ولكنه لم يكن كذلك في الحماسة الشجرية ، اذ بلغ عدد حماسياته ١٨١ وهي تعادل خمس الكتاب تقريبا ٠

ULTRAS
Scanned by CamScanner

طبعت الحماسة الشجرية أول مرة في حيدر آباد سنة ١٩٢٦ في جزء واحد ثم طبعت ثانية في دمشق سنة ١٩٧٠ في جزأين ، يتضمنان شروحاً مفصلة في هوامش الكتاب ، مع فهارس وافية تيسر الانتفاع به(١) .

* *

ومن القصائد الجيدة المشهورة في « الحماسة الشجرية » تلك التي قالتها ميسون بنت بحدل ، زوجة معاوية بن أبي سفيان ، تتشوق الى مسقط رأسها في البادية ، وتفضلها على قصر الخلافة في الحاضرة ، واليك ما قاله ابن الشجري في القصيدة وخبرها(٢) :

« روى الكلبي عن عوانة ، قال : لما زُفت ميسون بنت بحدل من بادية كلب الى معاوية ، وهو بريف الشام ، ثقل عليها الغربة والبعد عن قومها ، فسمعها ذات يوم تقول :

لَبيت تخفقُ الأرواحُ فيه ... أحب الي من قصر منيف(٣)
وأصواتُ الرياح بكل فج ... أحب الي من نقر الدفوف
وبَكر يتبع الأظعان صعب ... أحب الي من بغل زَفوف(٤)
وكلب ينبح الطُراق عني ... أحب الي من قط الوف(٥)
ولُبسُ عباءة وتَقر عيني ... أحب الي من لُبس الشفوف(٦)
وخِرق من بني عمي نجيب ... أحب الي من عِلج عنيف(٧)

فلما سمع معاوية ذلك قال : أنا والله العِلج العنيف ، وازداد بها عُجباً ، وعليها شُحاً واليها ميلا » .

* * * *

---

(١) حقق طبعة دمشق : عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي .

(٢) أوردها ابن الشجري في « باب الحنين الى الأوطان » وهو أول الأبواب السبعة المتفرعة من الباب الرئيسي الذي سماه « باب النسيب » .

(٣) الارواح : الرياح .

(٤) البكر : بفتح الباء : الفتي من الابل . والزفوف : السريع ، الحسن المشي .

(٥) الطراق : ابناء السبيل ، او الذي يقدمون ليلا .

(٦) الشفوف : الثياب الحريرية الرقيقة .

(٧) الخرق : الفتى الحسن ، الكريم الطبع ، او السخي الجواد . والمراد بالعلج هنا : الضخم الغليظ .

Scanned by CamScanner